180

الأبحاث والدراسات

العبلاء وأهميتها التاريخية والاقتصادية في ضوء المصادر والاكتشافات الأثرية (*)

أ. محمد بن جرمان العواجي

(*) دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس، (الجزء السابع عشر) (الطبعة الأولى) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)، ص ص ٤٧-٥٦ . (الطبعة الثانية، ١٤٤٢ هـ/٢٠٢٠م)، ص ص ٤٨-٥٧ .

(ج) التاريخ الأدبي لبيشة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة .

(د) دراسة النقوش والكتابات والرسوم الصخرية في بيشة وبخاصة في العصر الجاهلي والإسلامي المبكر والوسيط .

ثالثاً: العبلاء وأهميتها التاريخية والاقتصادية في ضوء المصادر والاكتشافات الأثرية . بقلم . أ. محمد بن جرمان العواجي[1] .

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	٤٧
٢	الاسم والموقع	٤٨
٣	العبلاء وأهميتها التاريخية	٤٩
٤	العبلاء وأهميتها الاقتصادية	٥٤
٥	الخاتمة	٥٥

١. المقدمة :

تعد العبلاء من أهم الحواضر العربية القديمة لوقوعها على مسار درب البخور الذي كان يربط المراكز الحضارية في جنوب الجزيرة العربية بشمالها [2]. وقد أثبتت الأبحاث الأثرية أن العبلاء من أهم المراكز الصناعية في جزيرة العرب ، قبل الإسلام وبعده ، فقد عاصرت النشاط الاقتصادي لممالك جنوب الجزيرة العربية وحافظت على أهميتها التاريخية والاقتصادية حتى العصر العباسي. لذلك فهي جديرة بهذا البحث الذي نستهله بإلقاء الضوء على اسمها ثم التعريف بموقعها الجغرافي ، ومكانتها

(١) الاستاذ محمد العواجي من مواليد قرية شديق بمدينة بيشة عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) حصل على تعليمه العام ثم العالي في حاضرة بيشة ، ومازال يعمل في مجال التعليم حتى الآن . عضو في عدد من الجمعيات العلمية الرسمية والأهلية والاجتماعية ، حصل على العديد من الشهادات والجوائز والتكريمات على مستوى محافظة بيشة أو منطقة عسير . وهو كاتب ، وشاعر ، وباحث في مجال التاريخ ، والآثار ، والأنساب ، والأدب ، وله أكثر من عشرين كتاباً أو بحثاً أو مقالاً ، ومنها : (١) القيم الإنسانية في شعر الرثاء الجاهلي (الطائف: دار الحارثي للطباعة والنشر ، ١٤١٤. ١٤١٥هـ) . (٢) تاريخ بني خثعم وبلادهم في الماضي والحاضر (الطائف: دار الحارثي للطباعة والنشر ، ١٤١٨هـ). (٣) بيشة (الطائف : دار الحارثي للطباعة والنشر ، ١٤٢٦هـ) (٤) آثار بيشة (دراسة تاريخية) (١٤٢٨هـ). (٥) بيشة في نصوص الشعر القديم (١٤٢٨هـ) . (٦) قبيلة بالأحمر (بللحمر) وبلادها (١٤٢٩هـ) . قبيلة بالأسمر (بنو الأسمر) وبلادها (١٤٢٩هـ) . (٧) قلعة ابن شكبان في الرقيطاء والدولة السعودية الأولى (١٤٣٧هـ). (ابن جريس) .

(٢) هناك مواقع عديدة في بلاد تهامة والسراة ، وبعضها أكثر شهرة من العبلاء ، وجميع هذه الأمكنة تستحق البحث والدراسة العلمية الرصينة. (ابن جريس) .

التاريخيــة والاقتصادية في ضــوء المصادر التاريخية والجغرافيــة والاكتشافات الأثرية الحديثة .

٢. الاسم والموقع :

أ. الاســم : إذا بحثنــا عن اسم العبلاء عند علماء اللغــة نجد أنها جاءت من مادة (عَبْــل) ، والعَبْــل: الضخم من كل شــيء ، والأعبل والعبلاء حجــارة بيض . والعبلاء : الطريدة في سواء الأرض حجارتها بيض كأنها حجارة القداح[١]. وقيل العبلاء : موضع ومعــدن[٢]. ومــن هذه الأوصــاف يتضح أن العبــلاء اسم يطلق على مواقــع متعددة من بــلاد العــرب ، أشهرها هذا الموقع. وقد عــرف عند شركة معادن وعنــد الإدارة العامة اللآثــار والمتاحف بوزارة المعــارف في بداية مسحهما للمواقع التعدينيــة والأثرية باسم منجــم العَبْلــة بفتح العين وسكون الباء وفتح اللام[٣]. حيــث ينطقون الكلمة بالهاء بدلاً من الألف[٤].والصحيح بالألف والهمزة. وقد أصبحت العبلاء في وقتنا الحاضر مركزاً إدارياً يتبع محافظة بيشة ، ويخدم منطقة واسعة تعرف باسم (الجحيفة) [٥].

ب. الموقــع : تقــع العبــلاء في الشمال الغربــي من محافظة بيشــة بمنطقة عسير ، في أعلــى وادي رنيــة ، ويقع جبل العبلاء الذي يبلغ ارتفاعــه (٢٠٠م) تقريباً ، في أرض منبسطــة صغــيرة المساحة بــين واديي رنية وابن النعــا في بادية الجحيفــة . ويعد مثالاً فريداً مــن الناحية الجيولوجية والأثرية، حيث يبدو مغطــى بالكوارتز الجرانيتي الذي يظهــر كطبقة ذات مظهر زخري في كأنــه مرسوم باليد ، ويقع هذا الجرانيت عبر الحافة الجنوبية الشرقية المكونة من الفلورايت كوارتز على شكل أسطوانة قطرها (٢٥) متراً، ويحيــط بمركز الفلورايت نطاق من الكوارتز المتداخل ويوجد المنجم في قمته على شكل حفر عميقة ، ومن هذه الحفر كانت تستخرج المعادن، ويعد هذا المنجم من أكبر المناجم التي استخرج منها معدن النحاس[٦]. حيث يظهر في الموقع خبث النحاس المنصهر على

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب (بيروت :دار الفكر ، د. ت) ، ج١١، ص ٤٢. (العواجي) .

(٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان (بيروت دار بيروت للطباعة ، ١٤٠٨هـ) ، ج٤، ص ٨٠ . (العواجي) .

(٣) خالد اسكوبي . " أهم مواقع التعدين القديمة بمنطقة تبالة جنوب غرب المملكة العربية السعودية ، مجلة الفيصل، عدد (١١٣) ، ذو القعدة (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، ص ١٠٥ (العواجي) .

(٤) حمــد الجاسر. التعدين والمعادن في جزيرة العرب ضمن كتــاب: الجوهرتين للهمداني (الرياض: المطابع الأهلية للأوفست ، ١٤٠٨هـ/١٩٧٨م) ، ص ٣٨٣. (العواجي) .

(٥) إن المتجــول في أرجــاء بــلاد السروات وتهامــة يشاهد مواطن قديمة لهــا تاريخ وتراث قــديم ، وبعضها تحول إلى قــرى أو حواضــر أو مدناً حديثة ، ويجب علينا أن نجتهد في دراسة هذه المواضع القديمة وربطها بتاريخنا الحديث والمعاصر. (ابن جريس) .

(٦) هســتر جيمس وآخــرون." تقرير مبدئي عن مسح مناطــق التعدين القديمة بجنوب غرب المملكــة العربية السعودية. **مجلة أطلال، حولية الآثار العربية السعودية** ، العدد الثامن (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ص ١٣٢ . (العواجي) .

شكل أكوام متجمعة بالجهة الشمالية الغربية من الموقع ، بالإضافة إلى استخراج بعض المعادن الأخرى مثل: الذهب والحديد والفلورايت [١]. تقع القرية الأثرية إلى الشمال من جبل العبلاء ، وتمتد على مسافة تقدر بحوالي كيلو متر في كيلو متر تقريباً ، وتقدر مبانيها بأكثر من ألف وحدة سكنية ، وتتكون على شكل مجموعات متصلة ومنفصلة ، فأحياناً يفصل بينها شوارع وممرات منتظمة ، وقد بنيت غرفها بالحجر على شكل مستطيل وتبلغ مساحة بعض غرفها (٣× ٤) أمتار ، وكان في هذه القرية سوقاً تجارياً استمر إلى العصر العباسي الأول ، ويتناثر على سطحها مجموعة كثيرة من الرحى أهمها رحى كبيرة يقدر قطرها بحوالي (١،٢٠م) وارتفاعها (١،١٠م) مصنوعة من حجر الجرانيت كانت تستخدم في طحن المعادن[٢]. كما يوجد قرى أثرية قريبة من هذا الموقع مثل: قرية أم القرى ، وقرية القاع، ويبدو أنها معاصرة لقرية العبلاء . أما سكان الموقع قديماً فهم من خثعم وبعض الفروع القيسية ، أما في عصرنا الحاضر فهم من أكلب[٣].

٣. العبلاء وأهميتها التاريخية :

لا يمكن دراسة تاريخ بلدة العبلاء بمعزل عن تاريخ بلدة تبالة فهي جزء لا يتجزأ منها ، ومعظم المصادر التي ذكرت العبلاء تذكر أنها من أرض تبالة [٤]. والواقع الجغرافي يثبت ذلك فهي لا تبعد عن تبالة سوى (٣٠) كيلاً تقريباً . وتبالة كانت من الحواضر القديمة الواقعة بين اليمن والحجاز ، ومن المحطات الرئيسية على طريق البخور ، ومن مخاليف مكة المهمة ، ولها شهرة واسعة في كتب الأدب والتاريخ [٥]. وقد

---

(١) لقد تجولت خلال الثلاثين عاماً الماضية في بلاد الطائف ومناطق الباحة، والقنفذة ، وعسير، وجازان ، ونجران وشاهدت مواضع عديدة تدل على أنها كانت أمكنة تعدين قديمة ، وآمل من الجامعات السعودية المحلية في جنوب البلاد السعودية أن تنشئ مراكز بحثية تهتم بدراسة هذه الأماكن وبخاصة في ميداني التاريخ والآثار . (ابن جريس) .

(٢) محمد بن جرمان العواجي. الآثار في محافظة بيشة (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ، ص ١٣٧. (العواجي) . هذا السرد التاريخي يغلب عليه الشمولية ، ونتطلع إلى دراسة هذه الآثار دراسة تخصصية دقيقة لعلها تطلعنا على بعض الجوانب التاريخية والحضارية التي تعكس حياة الأرض والناس في زمنها . (ابن جريس).

(٣) انظر : محمد بن جرمان العواجي . تاريخ بني خثعم وبلادهم في الماضي والحاضر (الطائف: دار الحارثي للطباعة والنشر، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م) ، ص ٤٩-٨٢. (العواجي) . يا أستاذ محمد أكرر القول على أن كلامك هنا مازال عاماً وغير دقيق ، لأنه من يستقرئ سكان السروات من قبل الإسلام إلى وقتنا الحاضر يجد أنهم تحالفوا مع بعضهم البعض ، بل بعض القبائل الكبيرة القديمة تفتت أو اندمجت مع قبائل وعشائر أخرى. ومن يدرس قبيلة خثعم وفروعها ومن جاورها أو خالطها فإنه سوف يجد الكثير من الاندماج والانصهار ، وأحياناً الهجرة أو النزوح من مكان لآخر. (ابن جريس) .

(٤) انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤، ص ٨٠ . (العواجي) . غيثان بن جريس . تبالة وأهميتها التاريخية والحضارية خلال القرون الإسلامية الأولى . نشر هذا البحث في مداولات اللقاء العلمي السنوي الثامن لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي في مدينة المنامة بالبحرين في الفترة (٧-١٠/٤/١٤٢٨هـ الموافق ٢٤-٢٧/٤/٢٠٠٧م) ، ص ١٧٩-٢١٥. (ابن جريس).

(٥) انظر كتاب (بيشة) للعواجي (١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ، ص ٥٧-٧٠، للمؤلف نفسه ، تاريخ خثعم ، ص ٢٢٦-٢٢٧، وكتاب الآثار ، ص ٩٥-١٠٤، موسوعة الآثار لمسفر الخثعمي ، ص ٦٨-٧١ . (العواجي) .

زاد من أهميتها في العصر الجاهلي احتضانها لصنم ذي الخلصة ، الذي تعرضت لذكره كثير من كتب التاريخ والحديث ، وذكرت أنه يوجد في تبالة ، إلا أن البعض من أصحاب هذه الكتب قال أنه يوجد في دوس[١] . كما اختلفت أقوال المؤرخين في تحديد مكان صنم ذي الخلصة هل هو في العبلاء أو في تبالة ، فقد ذكر الكلبي أن ذا الخلصة من أصنام العرب وكان مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج ، وكان بتبالة ، وسدنتها هم بنو أمامة بن أعصر ، وكانت تعظمه خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب ، وفيها يقول خداش بن زهير العامري لعثعث بن وحشي الخثعمي في عهد كان بينهم فغدر بهم :

وذكرته بالله بيني وبينه ... وما بيننا من مدة لو تذكرا

وبالمروة البيضاء يوم تبالة ... ومحسبة النعمان حيث تنصرا

ثم قال : " ذو الخلصة اليوم عتبة مسجد تبالة " أما ابن حبيب (٢٤٥هـ) فيذكر: " أن ذا الخلصة كان بيتاً تعبده بجيلة وخثعم ، والحارث بن كعب ، وجَرم ، وزبيد ، والغوث، وبنو هلال بن عامر وكانوا سدنته ، وكان بين مكة واليمن بالعبلاء على أربع مراحل من مكة" [٢] . ويذكر البلاذري - وهو من أهل القرن الثالث الهجري - في ترجمة المنتشر بن وهب الباهلي أنه قتل مُرة بن عاهان ، وأسر رجلاً من بني الحارث يقال له : صلاءة، ثم قال له : افتد نفسك فتلكأ صلاءة ، فقال: له والله لا يذرُ شارق إلا قطعت منك مفصلا فقطعه عضواً عضواً حتى قتله فطلبته بالحارث فلم يقدروا عليه ، ثم أنه حج إلى ذي الخلصة وهو بيت بالعبلاء ، كانت خثعم ومن يليهم من قيس وغيرهم يحجونه، وهو اليوم موضع مسجد العبلاء ، فدل قوم من بني عمرو بن كلاب بني الحارث على المنتشر فقطعوه كما فعل بصاحبهم" [٣] . ويقول ياقوت : " العبلاء - وقيل العبلات - بلدة كانت لخثعم بها كان ذو الخلصة بيت وصنم ، وهي من أرض تبالة ، ثم يضيف نقلاً عن المبرد " ذو الخلصة موضعه اليوم مسجد جامع لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم "[٤] ،

---

(١) انظر : كتاب الأصنام للكلبي ، تحقيق أحمد زكي باشا (١٩٩٥م) ، ص ٣٥-٣٦، وكتاب المحبر لابن حبيب (باكستان ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م) ، ص ٣١٧، ياقوت ، ج٢، ص ٣٨٢. (العواجي) . وأقول إن صنم ذي الخلصة يستحق أن يكون عنواناً لرسالة ماجستير أو دكتوراه وأرجو أن نرى أحد طلابنا في برنامج الدراسات العليا ، وفي التاريخ القديم من يتخذه موضوعاً لأطروحته العلمية . (ابن جريس) .

(٢) انظر : ابن الكلبي ، الأصنام ، ص ٣٦، ابن حبيب ، المحبر، ص ٣١٧. (العواجي) .

(٣) انظر أحمد بن يحيى البلاذري ، أنساب الأشراف ، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي (بيروت : دار الفكر ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م) ، ج١٣، ص ٢٤٠. (العواجي) .

(٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص ٣٨٣، ج٤، ص ٨٠ . (العواجي) .

ويؤكد البكري ذلك فيقول : " ذو الخلصة بيت بالعبلاء كانت خثعم تحجه وهو اليوم موضع مسجد العبلاء " [١].

ونستخلص من عرض هذه النصوص ومقارنتها مع بعضها بالأمور التالية : (١)
إن صنم ذي الخلصة يقع في تبالة ، وفي بلاد خثعم ، وأن قبائل العرب المجاورة له كانت تحج إليه وتقدسه ، وقبيلة خثعم وبنو أمامة من باهلة بن أعصر من قيس عيلان هما من يتولى حمايته والإشراف عليه ، وقد أفقدهما ذلك ثلاثمائة رجل في غزوة ذي الخلصة . **(٢)** يمكن القول أنه لا تناقض بين من يقول إن صنم ذي الخلصة في تبالة أو أنه في العبلاء ، إذا عرفنا أن العبلاء كانت قديماً من أرض تبالة ، ولازالت آثار صنم ذي الخلصة إلى اليوم في تبالة وهي بقايا غرف متهدمة في أعلى قرية تبالة فوق قمة جبل يسمى عرق الطاغوت ، يمر وادي تبالة بحافته الجنوبية ، وشعب عقل من شماله، وشرقاً : وادي سروم الأسفل ، وقرى تبالة الحديثة، وغرباً: شعب الصخبرية ، والموقع بحاجة إلى دراسة أثرية متخصصة لإظهار حقيقته .**(٣)** أورد ابن حبيب أن سدنة صنم ذي الخلصة هم : هلال بن عامر ، وهذا خلاف ما ذكره ابن الكلبي بأنهم بنو أمامة من قبيلة باهلة ، والأرجح ما ذكر ابن الكلبي لأن نصوص الشعر الذي قيل في غزوة ذي الخلصة تؤكد ذلك، بالإضافة إلى تضحيتهم بمقتل مائة فارس من رجالهم في ذلك اليوم [٢].

أما عند ظهور الإسلام فقد أسلم سكان العبلاء وتبالة وبيشة وما حولها من فروع بني خثعم في السنة العاشرة بعد أن أحرق جرير بن عبدالله البجلي صنم ذي الخلصة بأمر من رسول الله ـ ﷺ يتقدمهم : أنس بن مدرك الأكلبي ، وعُثعث بن بشر الشهراني وقالوا : آمنا بالله ورسوله وما جاء من عند الله فاكتب لنا كتاباً نتبع ما فيه فكتب لهم كتاباً شهد فيه جرير بن عبدالله ومن حضر[٣]. وقد صدق أهل هذه البلاد في إسلامهم

---

(١) عبدالله بن عبدالعزيز البكري . معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) . مج٢، ج٣، ص ٩١٨. (العواجي) .

(٢) يا أستاذ محمد هذه الأقوال التي ذكرتها مدونة في مصادر التراث الإسلامي التقليدية ، وأنت تعلم أن تلك المصادر التاريخية والأدبية يشوبها الكثير من الخلط والتناقض وأحياناً الأخطاء الواضحة . وأنت تتكلم عن مواضع ذات تاريخ قديم ، وتقول أنه مازال فيها الكثير من المواد الأثرية وأقول أنه يجب على أهل الاختصاص من الأساتذة الآثاريين أن يدرسوا هذه المواد دراسة علمية حتى نتأكد من صحة ما دونته بعض كتب التراث والتاريخ والحضارة القديمة . (ابن جريس) .

(٣) للمزيد انظر محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري (بيروت : دار الفكر (١٤٠١هـ/١٩٨١م) ، ج٥، ص ١١١، محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، ج١، ص ٣٣٨(العواجي).

وقاموا بمواقف مشرفة في نشر الإسلام أثناء الفتوحات الإسلامية في عهد الرسول ﷺ وعصر الخلفاء الراشدين . أما في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م) نجد أن تاريخ هذه المنطقة يرتبط باسم القائد الأموي الحجاج بن يوسف الثقفي الذي نُصب والياً على تبالة بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) لكنه استصغرها ولم يتولاها وكر راجعاً إلى بلاط الخليفة ، وخبر ذلك معروف ومسطور في كثير من المصادر التي تناولت تاريخ المنطقة [١] . ويبدو أن الحجاج لم ينس أمر تبالة ، فعندما تولى إمارة مكة ، أرسل من قبله والياً على تبالة ، فصعد المنبر فما حمد الله ولا أثنى عليه ، ثم قال: " إن الأمير ولاني بلدكم وإني والله ما أعرف من الحق موضع سوطي هذا ولن أوتى بظالم ولا مظلوم إلا أوجعتهما ضرباً فكانوا يتقاضون الحق بينهم ولا يرتفعون إليه [٢] . ويظهر أن هذا الرجل كان يطبق سياسة الحجاج القائمة على البطش والقوة . ومن هذه النصوص وغيرها ندرك أهمية هذه المنطقة تاريخياً، وكذلك تبعيتها للحكم الأموي ، وأن ولاة مكة كانوا يرسلون لها بعض الولاة لضبط أمنها واستقرارها. أما في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م) فيبدو أن العبلاء وتبالة وما حولها من البلدان ، كانت تتبع ولاة مكة ، والذين يعودون بأمرهم إلى الدولة العباسية حيث تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن ولاة مكة قد استعملوا على تبالة بعض التابعين لهم لجلب الزكاة، ومنهم : جوان بن عمر بن ربيعة المخزومي ، فحمل على خثعم في زكاة أموالهم حملاً شديداً حتى جعلت خثعم سنة جوان تاريخاً قال ضبارة ابن الطفيل الخثعمي:

أتلبسنا ليلى على شعث بنا ... من العام أو يرمي بنا الرَّجوان

فلو شهدتني في ليال خلون لي ... عامين مرا بعد عام جُوان [٣].

---

(١) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢، ص٩ . (العواجي). يا أستاذ العواجي منطقتنا الممتدة من الطائف إلى نجران سادها النسيان أو الإهمال عند مدوني التراث الأوائل ، ومازلنا نجهل الكثير من تاريخها وحضارتها قبل الإسلام وبعده ، ونأمل أن يجرى عليها دراسات أثرية حقيقية لعلها تطلعنا على شيء من تاريخها وتراثها وحضارتها القديمة الضائعة . (ابن جريس) .

(٢) عبد الرحمن بن الجوزي ، كتاب الأذكياء ، تحقيق محمد بن عبدالرحمن عوض (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، ص ١١٤ .(العواجي) . ومثل هذه الروايات وما يشابهها تحتاج إلى تأمل وتثبت من صحتها، والباحث عن التاريخ الإداري في بلاد السراة خلال عصور الإسلام الأولى يجد نقص وغموض كبيرين في هذا الباب . (ابن جريس).

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني ، تحقيق عبده علي الأمير مهنا، وسمير جابر (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١٢هـ / ١٩٨٢م) ، ج١٧، ص ١٠٢ ، الزبير بن بكار ، جمهرة نسب قريش ، تحقيق عباس هاني (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م) ،ص٨٩. (العواجي) .

ويذكر الأصفهاني : أن أحمد بن إسماعيل أحد أمراء مكة في زمن هارون الرشيد كان له من القوة والنفوذ على هذه المنطقة ما جعله يتعقب ابن الدمينة الشاعر المعروف ويسجنه في سجن تبالة ، وقيل في سجن العبلاء ، وكانت العبلاء في ذلك الوقت عامرة بالسكان [١] .ومن هذه النصوص ندرك تبعية هذه الناحية وما حولها للدولة العباسية وأنها كانت مقراً لبعض الولاة التابعين لها[٢] . وبعد هذا التاريخ - أي نهاية القرن الثاني الهجري - لا نجد ذكراً لمظاهر الحياة الاجتماعية لسكان العبلاء في المصادر التي تم الاطلاع عليها ، ويبدو أن نموها الحضاري والعمراني ربما توقف في أواخر القرن الثالث الهجري ، حيث يشير الهمداني في القرن الرابع الهجري إلى خراب العبلاء [٣] . ولكنه لم يذكر أسباب هذا الخراب .

ومن استعراض نصوص المصادر السابقة التي ذكرت العبلاء نستنتج الأمور التالية: (١) أن المصادر التي ذكرت العبلاء لم تذكر شيئاً عن خرابها سوى الهمداني فقد ذكر أن خرابها سابق لعصره هي والقريحاء التي كانت إحدى محطات الطريق التجاري بعد تبالة . **(٢)** جميع المصادر التي ذكرت بلدة العبلاء لا تصفها بأكثر من كونها قرية عامرة بالسكان ، وأنها كانت مقراً لصنم ذي الخلصة ، وكان فيها منجم لاستخراج المعادن ، وسكانها هم خثعم وبعض الفروع القيسية . **(٣)** يظهر لنا أن العبلاء كانت في قمة نموها الحضاري والاقتصادي في عصر ما قبل الإسلام ثم استمر هذا النمو حتى أواخر القرن الثالث الهجري تقريباً، بعد ذلك توقف نموها الحضاري والاقتصادي وتركها أهلها طيلة هذه القرون فتحولت إلى منطقة بادية خالية من أي عمران حتى بداية عصرنا الحاضر[٤] .

وفي العصر الحاضر عادت الحياة إلى العبلاء مرة ثانية وذلك بعد افتتاح أول مدرسة ابتدائية عام (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، واعتماد مخطط العبلاء السكني ، لتوطين

---

(١) الأصفهاني ، الأغاني ، ج١٧ ، ص ٧٩ ، ديوان ابن الدمينة ، تحقيق أحمد راتب النفاخ (القاهرة : مكتبة دار العروبة، ١٣٧٩هـ) ص ١٠.

(٢) من يتأمل ويبحث في المصادر الإسلامية المبكرة عن التاريخ الإداري أو الحضاري في بلاد السروات فإنه لا يجد مادة علمية كافية توضح أوضاع الناس في هذه الأوطان خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة ، وقد نجد شذرات محدودة في بعض الكتب القديمة لكنها لا تشفي الغليل ولا تفيدنا كثيراً في هذا الباب . (ابن جريس) .

(٣) الحسن بن أحمد الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع (الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٧هـ ، ١٣٩٧هـ/١٩٩٧م) ، ص ٢٥٨. (العواجي) .

(٤) جميع المواضع الحضارية القديمة في بلاد السروات وتهامة مازالت بحاجة إلى دراسات أثرية ، ونأمل أن يتحقق ذلك من خلال أقسام علمية أكاديمية في جامعات السعودية الجنوبية المحلية . (ابن جريس) .

سكان العبلاء واستقرارهم ، بالإضافة إلى افتتاح مركز إداري [١] . أما في المجال البحثي فقد قامت شركة معادن بحصر مواقع التعدين الواقعة في الشمال الغربي من محافظة بيشة ومنها العبلاء وما حولها من المناجم ، كما قامت الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف في المملكة العربية السعودية عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) بمسح مواقع التعدين القديمة في جنوب غرب المملكة ومنها العبلاء . وكانت نتائج المسح الأثري مشجعة على الأعمال البحثية المستقبلية ، واستناداً على ذلك قامت الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني عام (١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) بتكليف فريق علمي متخصص في علم الآثار بالتنقيب في موقع العبلاء ، **وقام الفريق بالتنقيب لمدة أربع سنوات وكان من أهم النتائج والاكتشافات التي توصل إليها الفريق ما يلي**[٢] : **(١)** الكشف عن أساسات لمسجد يعود تاريخه إلى الفترة الإسلامية المبكرة تقدر مساحته (٦١٦م٢) **(٢)** الكشف عن عدد من الوحدات المعمارية المترابطة التي تحتوي على كثير من الظواهر الأثرية من أهمها: الجدران المجصصة ، والأحواض الدائرية ، ومخازن للمياه ، بالإضافة إلى جرار فخارية ضخمة استخدمت لتخزين الفائض من الحبوب والمحاصيل الزراعية التي أنتجها سكان العبلاء . **(٣)** الكشف عن عدد من المطاحن والمدقات الحجرية التي استخدمت لطحن الخامات المعدنية وتجهيزها للصهر . **(٤)** الكشف عن كسر متنوعة من الفخار، والخزف المزجج ، والحجر الصابوني ، التي كانت بمثابة أواني استخدمت في عملية تصفية الخام ومعالجته قبل صهره في الأفران الخاصة بذلك ، فضلاً عن اكتشاف أفران خاصة متنوعة الأحجام لصهر بعض الخامات المعدنية داخل الغرف كمراحل متقدمة من الصهر .

٤. العبلاء وأهميتها الاقتصادية :

كانت المعادن من أهم الثروات التي اعتمد عليها في بناء الحضارات وإنمائها، ولهذا اهتم الإنسان عبر مختلف العصور بالبحث عن هذه المعادن مثل: الذهب ، والفضة، والنحاس ، والحديد وغيرها ، وللحصول عليها كان يقوم بحفر الأخاديد والأنفاق

---

(١) افتتح مركز العبلاء عام (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ويتبع إدارياً لمحافظة بيشة ويضم عدداً من القرى مثل: مخطط العبلاء ، وقرية شواص الأسفل ، والشفا ، والسلام ، والسليلات ، وابن النعا ، والبدرية ، والهنية ، والقعرة . (العواجي) . تاريخ بيشة الحضاري الحديث والمعاصر يستحق أن يوثق ويطبع وينشر ، وهذا العمل من مسؤولية جامعة بيشة ، وقد تجولت حديثاً في هذه المحافظة (بيشة) فوجدت أنها تستحق الكثير من أبنائها المؤرخين والباحثين الجادين . (ابن جريس).

(٢) انظر : جيمس وآخرون ، ص١٠٧-١٣٥ ، رائد القرني ، اكتشاف مسجد أثري وعدد من مظاهر التعدين بموقع العبلاء بيشة (١٤٣٨هـ) ، صحيفة سبق .(العواجي) .

في باطن الأرض مستخدماً أدواته البدائية من أزاميل ومدقات وغيرها من الأدوات الأخرى [١] . وقد برع العرب في استغلال هذه الثروة الاقتصادية حيث يدل على ذلك آثار التعدين وخبث المعادن التي تنتشر عبر منطقة الدرع العربي ، الأمر الذي برهن لنا على دور الحركة الاقتصادية في بناء الحضارات العربية القديمة ،وكذلك الحضارة الإسلامية[٢] . وتأتي محافظة بيشة في مقدمة محافظات منطقة عسير من حيث عدد مواقع الآثار التعدينية ، التي تنتشر بشكل خاص في شمال غرب المحافظة ، ويأتي في مقدمتها منجم العبلاء ، ومنجم الحجار، وقد استخدمت هذه المناجم قبل الإسلام ثم أعيد استخدامها في العصر الأموي والعباسي ، ومازالت عالية التعدين حتى عصرنا الحاضر فقد أعيد استخدام منجم الحجار في وقتنا الحاضر من قبل شركة معادن، وقدر احتياطي الخام بحوالي ثلاثة ونصف مليون طن موزعة على عدد من المعادن الثمينة . ولم تقتصر أهمية موقع العبلاء على التعدين فحسب فقد كان مركزاً تجارياً وزراعياً هاماً ، فالعبلاء كانت إحدى الحواضر القديمة التي تقع على طريق البخور بين اليمن ومكة مثل: جرش، وبيشة وتبالة ، وكانت العبلاء آخرها من جهة الشمال فكانت القوافل التجارية تضطر إلى المرور بسوقها التجاري للتزود بحاجاتها الضرورية، فضلاً عن البيع والشراء مما أكسبها أهمية اقتصادية كبيرة [٣] .

٥. الخاتمة :

نخلص مما تقدم أن المصادر التاريخية والجغرافية التي ذكرت العبلاء ، لم تعطنا تفصيلاً كاملاً عن بلدة العبلاء من حيث أهميتها التاريخية والاقتصادية ، ودورها الحضاري قبل الإسلام وبعده ، وكل ما ذكرته ما هو إلا إشارات وتلميحات ، لا تروي عطش الباحث عن تاريخ العبلاء ، أما نتائج التنقيبات الأثرية التي أجريت على العبلاء، فلقد أماطت اللثام عن جزء كبير من تاريخ العبلاء ، وبينت أهميتها التاريخية والاقتصادية قبل الإسلام وبعده ، وذكرت أنها من أبرز مواقع التعدين القديمة إذ يرجع

---

(١) موريتس ، "المعادن في بلاد العرب القديمة" . مجلة العرب ،تعريب أمين روجيه، ج٧، السنة الثانية (الرياض ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ، ص ٨٥. (العواجي).

(٢) انظر أحمد بن عبد القادري " أسماء المعادن في التراث العربي الإسلامي " مجلة القافلة ، العدد الرابع (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ص٧، مسفر الخثعمي ، بيشة ، ص ١٢٩.

(٣) لقد تجولت في عموم بلاد السروات وتهامة خلال الثلاثة عقود الماضية ، ورأيت عشرات المواقع الأثرية التي بحاجة إلى دراسات علمية أكاديمية ، ومن تلك الآثار: الآبار القديمة ، والطرق التجارية ، والمقابر، والقرى ، والكهوف ، والمدرجات الزراعية ، والسدود ،والأسواق الأسبوعية ، والأحمية ، والنقوش والرسومات الصخرية المتناثرة في كل مكان ، كما يوجد هناك الكثير من الآثار التي مازالت مدفونة في باطن الأرض . وأقول إن دراسة الآثار والتنقيبات الأثرية في بلادنا مازالت قليلة جداً وأحياناً غير موجودة . (ابن جريس) .

تاريخها إلى عصر حضارة الممالك العربية القديمة إذ عثر فيها على فخار متنوع ينتمي إلى تلك الحضارة التي يرجع تاريخها إلى النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد، وأثبتت أنها كانت مركزاً اقتصادياً مزدهراً بمقوماته التجارية والزراعية والرعوية. ولكن مازلنا نطمح إلى مزيد من التنقيب الأثري والدراسات العلمية الجادة للكشف عن أسباب خراب العبلاء، ومعرفة سر اختفائها المفاجئ، ورحيل سكانها رغم احتوائها على مقومات الحياة الاقتصادية وبقائها إلى عصرنا الحاضر مثل: المعادن، ووفرة المياه، وخصوبة التربة. كما نأمل من جامعاتنا، وهيئة السياحة والتراث الوطني تركيز الجهود البحثية على محافظة بيشة، فهي غنية بموروث حضاري ضخم يحتاج إلى دراسات علمية متخصصة [١]. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رابعاً: تاريخ وحضارة بيشة بين المكتوب والمأمول. بقلم. أ. د. غيثان بن علي بن جريس.

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	مدخل:	٥٦
ثانياً:	تاريخ وحضارة بيشة المكتوب	٥٧
ثالثاً:	المأمول من تاريخ بيشة وحضارتها	٦٠
رابعاً:	الخاتمة: النتائج والتوصيات	٦٢

أولاً: مدخل:

إن شبه الجزيرة العربية موطن العرب والعربية الأصلي، والمتأمل في تاريخها وتراثها عبر أطوار التاريخ يجدها مرت بأحداث وتحولات تاريخية وحضارية متنوعة. والحواضر الرئيسية في هذه البلاد نالت النصيب الأوفر من الذكر والتوثيق، ومدن الحجاز واليمن الرئيسية أكبر الحواضر المذكورة في المصادر الكلاسيكية والتراثية القديمة. أما البلدان النائية أو المعزولة فهي أقل النواحي ذكراً. وبلاد السروات وتهامة الواقعة بين اليمن والحجاز من البلدان التي لم تنل حقها من الدراسات والتوثيق عند المتقدمين. وإذا قصرنا اهتمامنا على الحواضر والبلدات في هذه الناحية فإنها أيضاً تتفاوت فيما قيل عنها أو كتب؛ فنجران، وجرش، وتبالة، والطائف، والسرين، وعشم وغيرها ربما كانت معروفة أكثر من غيرها عند مدوني التراث الأوائل كما أن محطات

(١) وهذا يا أستاذ محمد العواجي ما نطمح ونتطلع إليه، والأمل في جامعاتنا المحلية أن تقوم بهذه المهمة مع أنني أنادي في أروقة هذه الجامعات منذ زمن ولا نجد أي تجاوب من صناع القرار في هذه المؤسسات التعليمية العالية. (ابن جريس).